البيان

السنة الاولى — الجزء الرابع عشر

١٦ دسمبر سنة ١٨٩٧

اللغة والعصر

(تابع لما قبل)

وقد امتدّ بنا نَفَس الكلام في هذا الباب الى ما لعلّ المزيد عليهِ يورث الملل فنَقِف منهُ عند هذا القدر وان هو الاّ غَيضٌ من فيض اوردناهُ عبرةً ومثالاً وتنبيهاً للباحث الى وجوه تدبُّر اللغة والتفطن لاستنباط اسرارها والكشف عن غوامضها وقد اقتصرنا فيما ذكرناهُ على اشهر ابنية المشتقات وأمثلها اغراضاً مما ظهر لنا ثبوت القياس فيهِ وان لم يطّرد في السماع وبقي ورآء ذلك من خفيّ آثار الوضع ما لا يسعنا استيفآؤهُ في هذا المقام وما يقتضي بحثا دقيقاً ونظراً طويلاً في تتبُّع الفاظ اللغة وتفقُّد مواقعها في كلام العرب للاحاطة باغراضها وردّ كلٍّ منها الى حيّزهِ وهو ولاجَرَم من المباحث الحريّة بأن تكون علماً برأسهِ يقيَّد بأصولٍ وضوابط يُرجَع اليها عند الاقتضآء ولعلّنا لا نعدم في علمآء هذا العصر من ينتدب للقيام بهذا المهمّ ان نشطوا لذلك وما هو على من صدق العزم فيهِ بعزيز

بقي ان نذكر شيئاً في الكلام على صيغ الافعال وطُرُق اشتقاقها وما يتعاورها

من ضروب المعاني ووجوه الاستعمال وهذا على كونهِ من اغراض علم الصرف وهو مما ازدحمت عليهِ اقلام المصنفين حتى كادت تآليفهم تفوت الحصر فقد بقيت هناك اشياء لم يوفوها حقها من البحث ولم نجد من زاد فيها على المشهور او خالف الى غير طريق المتداول لاعتماد كل من ألف منهم على النقل ووقوفهِ عند ما قالتهُ السلف الا نزرًا منهم ممن أيدوا بالبصيرة النقادة وقليلٌ ما هم

فمن تلك الصيغ مثال فاعَلَ وجُلّ ما ذكروا فيهِ انهُ يأتي بمعنى المشاركة وهو المعنى المشهور لم يكادوا يخرجون عنهُ الا الى معانٍ نادرة جاءت في الفاظٍ محفوظة وربما اخرجوهُ في بعض تلك المعاني عن اصل وضعهِ كما سيتضح لك مما يجيء . قال الزمخشريّ في مفصلهِ « وفاعَلَ لأن يكون من غيرك اليك ما كان منك اليهِ كقولك ضاربتهُ وقاتلتهُ.. ويجيء بمعنى فَعَلتُ كقولك سافرتُ وبمعنى أفعلتُ نحو عافاك الله وطارقتُ النعل وبمعنى فعّلتُ نحو ضاعفتُ وناعمتُ » اه. قلنا قولهُ لأن يكون من غيرك اليك الى آخرهِ تفسيرٌ لمعنى المشاركة التي يعبّر بها غيرهُ والمراد بها المشاركة في اصل معنى الفعل حتى يكون كل واحدٍ من الفريقين فاعلاً ومفعولاً في المعنى وهذا انما يصدق في المثال الاول اي في قولهِ ضاربتهُ لاشتراك الطرفين في الضرب بحيث كان كلٌّ منها ضاربًا ومضروبًا واما المثال الثاني فلا يصحّ ذلك فيهِ اذ ليس المراد منهُ ان كلاًّ من الفاعل والمفعول قد قتل الآخر كما هو ظاهر . وهناك امثلةٌ شتى لا يتجه فيها معنى المشاركة ولا تنطبق على معنى فَعَل او أفعل او فعّل كقولك طالبتهُ بدينهِ وضايقتهُ وتابعتهُ وطاردت الصيد وراقبت النجم وهاجَم العدوّ البلد وحاصَرَهُ وقولك خامَرَهُ الهمّ وخالَطَهُ السكر وعادَّهُ الداء وعاوَدَهُ وراجَعَهُ وما شاكل ذلك فان هذه كلها لا تحتمل معنى المشاركة لان الفعل فيها من جانب واحد كما ترى ولا يفي بها

معنى فَعَل المجرَّد ولا معنى أفعل ولا فعّل فيما يحتمل ذلك منها لان في قولك طالبتهُ بديني مثلاً معنًى لا تجدهُ في طلبتهُ وكذا قولك عاطيتهُ وأعطيتهُ وعالجتهُ وعلَّجتهُ وقس على ذلك نظائرهُ ولكن هذه الامثلة وما اشبهها انما يراد بها تكرار الفعل وموالاة بعضهِ لبعض فقولك طالبتهُ بديني حقيقة معناهُ طلبتهُ بهِ مرةً بعد مرة وكذا قولك طاردت الصيد وراقبت النجم وضايقت الرجل وهلمَّ جرًّا كما يشهد بهِ الاستعمال

وقد يجيء فاعَلَ بمعنى طلب الفعل من طريق المزاولة والعلاج ولازمهُ التكرار كما لا يخفى وهذا قد يكون من الجانبين اي من جانبي الفاعل والمفعول جميعاً وقد يكون من جانبٍ واحد كما في الامثلة السابقة. فالاول نحو قولك سابقتهُ وغالبتهُ وصارعتهُ وما جرى مجراها فان معنى سابقتهُ طلب كلٌّ منا ان يسبق صاحبهُ لا أن كل واحدٍ منا قد سبق الآخر كما هو المفهوم من مطلق معنى المشاركة والاَّ كان كلٌّ من الفاعل والمفعول سابقاً ومسبوقاً في وقتٍ واحد وهو محال. ومن هذا قولك قاتلتهُ اي طلب كلٌّ منا قتل صاحبهِ وهو المعنى الذي ينبغي ان يُفهَم من هذا اللفظ كما يُستدرَك بادنى تأمل وحينئذٍ فالمشاركة انما هي في طلب الفعل لا في الفعل نفسهِ كما ترى. والى هذا مرجع ما يسمى بافعال المغالبة نحو قولهم فاخرتهُ وشارفتهُ اي غالبتهُ في الفخر والشرف لان هذه الافعال موضوعةٌ لطلب مصدر الفعل الذي يُسنَد الى الغالب وهو الفعل الثلاثيّ الذي يُذكَر بعد المفاعلة من قولك فاخرتهُ ففخرتهُ وشارفتهُ فشرَفتهُ فكانك قلت طلبتُ ان افخرهُ ففخرتهُ وطلبتُ ان أشرُفهُ فشرَفتهُ وقس على ذلك. والفرق بين هذه الافعال والتي قبلها أن الثلاثيّ الذي تُشتقّ منهُ تلك يكون متعدّيًا من وضعهِ نحو سبق وقتل فيجوز ان تأتي بهِ بعد المفاعلة نحو

سابقتهُ فسبقته وان تستعملهُ بدونها فتقول سبقتهُ الى موضع كذا وان لم يكن بينكما مسابقة . وبخلافها هذه فان الثلاثيّ الذي تُشتقّ منهُ لا يكون الاّ لازماً كشَرُفَ او متعدّياً ولكن الى غير المغلوب كعَلِمَ ولذلك اذا أُريد فعل الغلب منها بُني لهُ من لفظها صيغةٌ مخصوصةٌ بهذا المعنى تُجعَل متعديةً ولا تُستعمَل الاّ بعد المفاعلة كما رأيت . وبهذا الاعتبار يُعَدّ غالبتهُ من افعال المزاولة لا من افعال المغالبة وان كان لفظهُ نصًّا في معناها ولهذا جاء مضارعهُ بكسر العين على خلاف القياس فيها . فتأمّل

والثاني اي ما يكون الفعل فيهِ من جانبٍ واحد نحو قولك خادعتهُ وخاتلتهُ وماكرتهُ وماحلتهُ وكايدتهُ وعاجزتهُ وغالطتهُ فان كل ذلك على معنى طلب الفعل ومزاولتهِ لا على معنى ايقاعهِ لان قولك خادعتهُ مثلاً معناهُ حاولتُ ان اخدعهُ ولذلك يصح ان تقول خادعتهُ فلم يخدع وغالطتهُ فلم يغلط مثلاً بخلاف قولك جالستهُ وماشيتهُ مما وُضِع على معنى المشاركة فانهُ لايصح ان يقال بعدهُ فلم يجلس او فلم يمشِ لان الفعل في هذين المثالين واقعٌ من الطرفين لا محالة وفي الاولين مطلوب لاحدهما والآخر بريء منهُ كما ترى

ثم ان هنا امرًا دقيقًا لم نجد من تنبّه لهُ وهو أن المشاركة قد تكون بين اثنين ليس فاعل الفعل واحدًا منهما كقولك طارقتُ النعل اذا خصفتَ عليها نعلاً اخرى وضاعفت الشيء اذا زدت عليهِ ضعفًا آخر وهما اللذان حملهما في المفصل على معنى أفعلت وفعّلت . ومثل ذلك قولهم هذه دابّةٌ لا ترادف اي لا تقبل الرديف وانما المرادفة بين الراكبين وقولك قاربتُ خطوي ودانيتهُ وهذا الاخير ذكرهُ في القاموس في تفسير قارَبَ واقتصر في موضعهِ على قولهِ ودانيت القيد ضيّقتهُ وتقول قاربت بين الشيئين ووالبت بينهما وتابعت بينهما وعاديت

بين الصيدين اي ثابت بينهما وظاهرت بين الثوبين وطابقت بينهما اذا لبست احدهما فوق الآخر وراوحت بين العملين اذا عملت هذا مرّةً وهذا مرّة واكثر هذه الامثلة لا عملَ فيهِ لافعل ولا نعّل كما ترى

ستأتي البقية

اهل التقادير واصحاب السعي والتدبير

لحضرة الكاتب الفاضل قسطاكي افندي الحمصي في حلب

(تابع لما قبل)

وكأن التوفيق والحرمان غير مقصورين على البشر بل هما من نصيب البلاد ايضاً قال الشاعر

واذا نظرتَ الى البلاد وجدتها تشقى كما تشقى العبادُ وتسعدُ

فهذه المدينة الفلانية شوارعها واسواقها عريضة مستقيمة مفروشة الارض باجود انواع الحجر او الخشب مكنوسةٌ على الدوام مرشوشة وقد قامت الاشجار العظيمة على جانبيها ممتدّة الاغصان تظلل المارّين باوراقها من حرّ الشمس والناس يسيرون فيها على ارصفةٍ من الجانبين مرتفعةٍ عن وسط الشارع وهم آمنون من راكبٍ يصدمهم او فارسٍ يزحمهم او مركب تدوسهم دواليبهُ او تدفهم قادمتهُ. وترى الحوانيت التي على جانبي الشارع ملأى بالسلع النفيسة والبضائع المختلفة والامتعة الثمينة من الجواهر الغالية وفاخر اللباس وباهر الاثاث وبدائع الزخارف وغرائب الزينة والآنية الجميلة والآلات العديدة المختلفة الاشكال ودكاكين باعة الزهور المتنوعة البهية الالوان التي لا يحصيها عد المجموعة باقات على اسلوب يأخذ بمجامع النفوس وسائر حاجات الترف والنعيم منضودة معروضة للانظار